

الكندري، لطيفة حسين (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م) ملامح التربية الإسلامية في الأندلس. مجلة التربية للبحوث التربوية والنفسية والاجتماعية: العدد ١٥٢، الجزء الثالث، يناير ٢٠١٣م، مصر: جامعة الأزهر: كلية التربية.

## ملامح التربية الإسلامية في الأندلس

أ.د. لطيفة حسين الكندري

بحث مدعوم من الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب. رقم المشروع (BE-12-04)

### قائمة المحتويات

#### Contents

٢	المقدمة .....
٢	أهمية البحث .....
٣	أسئلة البحث .....
٤	منهج البحث .....
٤	الدراسات السابقة .....
٦	ملامح التعليم في بلاد الأندلس .....
١٢	العناية باللغة العربية .....
١٤	تربية النساء .....
١٨	التربية الموسيقية .....
٢٢	أبرز النتائج .....
٢٣	التوصيات .....
٢٤	أبرز المراجع العربية .....
٢٧	المراجع الأجنبية .....

## المقدمة

يركز البحث الراهن على ابراز عطاء الحضارة الإسلامية اجتماعيا وثقافيا من منظور الفكر التربوي بحثا عن الأصالة الفكرية، والتواصل الحضاري، والابتكار التعليمي حسب مقتضيات وسنن التطور. لقد عاش المسلمون في بيئات فيها تنوع ثقافي هائل فكانوا يحكمون بلاد الأندلس لعدة قرون ويصنعون التضاريس الثقافية في أوروبا والعالم، ثم أصابهم داء الأمم؛ نار التفرق والخصام لكن آثارهم لازالت تحكي لنا سعة علمهم، وسبق فكرهم في ميادين عديدة تحتاج إلى التجلية والدراسة.

يحتاج تراث الأمم العريقة إلى فرز دائم وتحليل متواصل لأن الكتب القديمة لا سيما الإسلامية منها تختلط فيها المسائل التاريخية بالفقهية بالفلسفية بالاجتماعية بالتربوية. كتب سلفنا كتبهم بأسلوب موسوعي يلبي احتياجات عصرهم. إن تبسيط التراث للغرض التعليمي والبحثي يستدعي فرز الجانب التربوي عن غيره وتحليله حسب الأدبيات التربوية المناظرة لها قديما وحديثا من جهة، وحسب سياقها التاريخي من جهة أخرى.

إن الغرض من هذا البحث التعريف بالإسهامات الحضارية للمسلمين في بلاد الأندلس عبر بيان ملامح التربية والتعليم يومئذ لأنها فترة بالغة الأهمية استمرت ثمانية قرون (٩٢ هـ - ٧١١ م) إلى (٨٩٧ هـ = ١٤٩٢ م). والبحث في هذا المجال مهمة معرفية ضرورية في السياق الحضاري فالأمم لا تستغني عن معاينة هويتها الثقافية وفتح فضاءات جديدة وتطعيم خطابها المعاصر. يتكون البحث من مجموعة محاور أساسية وهي مرتبطة ببيان ملامح التعليم في بلاد الأندلس، والعناية باللغة العربية، وتربية المرأة، والتربية الموسيقية.

والمنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، وسيتم التركيز على كتاب *نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب لابن المقرئ التلمساني* وهو كتاب زاخر بالمعلومات التاريخية ويعتمد عليه الدارسون. يتسم كتاب ابن المقرئ بالشمولية والأمانة العلمية حيث ينسب القول إلى قائله ويورد المصدر الذي استقى منه ونقل منه حتى الشعر ينسبه لقائله مما يعطي الكتاب قيمة علمية كبيرة.

## أهمية البحث

١. تشير دراسات كثيرة إلى أن هناك جوانب تعليمية متعددة لا تزال مجهولة بالنسبة للدارسين لا سيما عن بلاد الأندلس (أبو شعيرة، ٢٠٠٧م، ص ١٣، ريبيرا، ١٩٩٤م، ص ٨) وكثير من تاريخ الأندلس مطموس ولم يُحسّن عرضه، ولم تُدرس تفاصيله. إن تاريخ الأندلس يعد ثروة

حقيقية من العلم والخبرة والعبرة ومن الواجب البحث في هذا التاريخ إذ هو لا يزال يحتاج لجهد بحثي كبير (السرجاني، ٢٠١١م، ج١، ص ٥-١٠، الفزاري، ٢٠٠٤م، ص ٤).

٢. تركز الدراسات التربوية في معظمها على المشرق العربي مما جعل التربية الأندلسية لا تحظى إلا بأقل القليل (عيسى، ١٩٨٢م، ٥٢، ٤٦٠).

٣. مسحت حركة محاكم التفتيش الكثير من تراثنا الإسلامي بإسبانيا ومن الحكمة ترتيب قراءة تلك الحقبة على ضوء المستحدثات المنشورة في هذا المجال. لقد كانت محاكم التفتيش مؤسسة ظلامية سببت الخسار العلوم والثقافة والاقتصاد (بيريز، ٢٠١٢م، ص ٢٢٣).

٤. امتازت الأندلس بحضارة ذات ميل شديد للفنون والآداب والعلوم على الخصوص، وأنشأ المسلمون في كل ناحية مدارس ومكتبات ومختبرات، وترجموا كتب اليونان، ودرسوا العلوم الرياضية والفلكية والكيمياء والطبية بنجاح (لوبون، ٢٠١١م، ٢٧٤). قال ابن المقري كان للدين بالأندلس من العز السامي العماد، " كانت أنبل دول الإسلام " (ج١، ص ١١٣، ٣٢٧). يحتاج هذا إلى ابراز في ضوء معطيات الدراسات الحديثة ووفق أطر مناهج البحث.

٥. دراسة الماضي أساس ثابت يمكن أن نستفيد منه لبناء الحاضر (عيسى، ١٩٨٢م، ٥٦) وبناء الشخصية العربية الإسلامية القادرة على الابداع الفكري. "إننا اليوم بحاجة ماسّة إلى إحياء ما درس من معالم ثقافتنا، وتبيان ما طمس من آثارها. والكشف عن منابع الحق فيها، نستخرج منها ذكريات العزة، وصفحات المجد، وآيات الفخار" (دنيا، ١٩٨٦م، ج١، ص ٨). التراث روح الأمم وذاكرتها الأمانة وهويتها الرصينة، فإن إحياء وحماية الألفاظ من الضياع والنسيان والتحريف والانقراض ضرورة من ضرورات البقاء والتطور (الكندري، ٢٠١٣م، ص ٦٥).

٦. بيان الاسهامات الإسلامية للمجتمع الإنساني لتشجيع الحوار العلمي بين الثقافات ونشر فكر التسامح والتقارب والتعايش .

### أسئلة البحث

١. ما أبرز ملامح التربية عند أهل الأندلس استنادا لكتاب نفح الطيب لابن المقري؟
٢. إلى أي مدى كانت عناية الأندلسيين باللغة العربية؟
٣. إلى أي مدى نالت المرأة الأندلسية حقها التعليمي؟
٤. كيف اهتم الأندلسيون بالتربية الموسيقية؟

## منهج البحث

منهج البحث هو المنهج الوصفي التحليلي المعتمد على خطوات محددة في عددها منظمة في موضوعاتها توجه البحث وتعين على استنباط المضامين ذات الصلة بأسئلة البحث والمعنية ببيان ملامح التربية الأندلسية في كتاب نفح الطيب لابن المقرئ. ولكي تستبين ملامح الحياة التربوية والتعليمية سيتم مناقشة أفكار ابن المقرئ المتشعبة في ضوء الأدبيات الفكرية القديمة والمعاصرة لاستكشاف واشتقاق جوانب التميز.

وتعتمد هذه الدراسة على الكتب التاريخية المعنية بتاريخ الأندلس وعلى رأسها كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس للطيب للمقرئ التلمساني فهذا الكتاب أكبر موسوعة عن الأندلس (خلف، ٢٠١٢م، ص ٧٧). ورد في مقدمة كتاب نفح الطيب بقلم المحقق إحسان عباس: أننا يجب أن نعترف بفضل كتاب ابن المقرئ حيث سخر مادة الكتاب العلمية لتصوير الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية بالأندلس بصورة لا نجدتها في كتاب آخر (ج ١، ص ١٨). ولا يقتصر البحث على معطيات كتاب ابن المقرئ لكنه سيتوسع عبر الاستفادة من البيانات الموثقة في كتب قديمة أو معاصرة علما بأن الدراسة الحالية تقتصر على الموضوعات الواردة في أسئلة البحث فقط.

## الدراسات السابقة

قدمت دراسة أبو شعيرة (٢٠٠٧م) دراسة تفصيلية عن الحياة الثقافية والنظام التعليمي بقرطبة وعرفت الدراسة بنماذج فكرية عديدة كنماذج للحركة الثقافية هناك. يتكون البحث من ستة فصول؛ أصول النظام التعليمي في قرطبة، والنظام التعليمي في قرطبة، والمجالات الثقافية، وأصالة الثقيف التربوي، وأثر قرطبة الثقافي في العالم العربي وأوربا، كما تناول البحث موضوع الفكر التربوي في قرطبة بين الأصالة والمعاصرة. أشار الباحث إلى أن المرأة كانت تتمتع بحقوق كثيرة وكان لها نفوذ في الحياة العامة ولها اسهامات ثقافية (ص ٢٣، ١٠٣، ١٥٧). ومن أفكار الأندلسيين على معلم الصبيان أن لا يكثر من عدد الصبيان في فصله لأنه لن يستطيع أن يعلمهم شيئا (ص ٧٦). واعتقد بعضهم أن الصبيان لا يتعلمون إلا بالشدّة وهذا لا ينفي أن الرفق دائما يسبق العقاب (٨١). وعن التسامح يذكر الباحث أن ابن المقرئ نقل في كتابه شطرا من شعر متأدبة اليهود والنصارى وهو يكتب تاريخ الأندلس (ص ٢٥٠).

استعرضت دراسة الدوسري (٢٠٠٤م) غرناطة من حيث النشأة والوصف والسكان وال عمران ثم تناولت الدراسة الحياة الدينية والاجتماعية في غرناطة. وتطرقت الدراسة إلى النظام الإداري هناك والحياة الاقتصادية وأخيرا تناولت المرأة في المجتمع الغرناطي. أشار البحث إلى أن زرياب كان يجعل الناس يلبسون

الألبسة البيضاء في الاحتفالات (ص ٨٨). ونقل الباحث تميز أهل الأندلس بالنظافة وبناء الحمامات الفخمة وأنهم أشد خلق الله اعتناء بنظافة أبدانهم وبنظافة ما يلبسون. كانت الحمامات بقرب المساجد وموارد المياه (ص ١١٠). أشار الباحث أن الأمراء قدموا الجرايات (الرواتب) بسخاء للمعلمين (ص ٢٥٩، ٢٦٠). يؤكد الباحث أن المدارس الأندلسية بدأت متأخرة واستشهد بكلام لسان الدين ابن الخطيب الذي أشار إلى انشاء المدرسة بقرطبة التي أنشأها أبو الحجاج يوسف عام ٧٥٠ وأن المدارس "لم تكن بها بعد، وسبب إليها الفوائد ووقف عليها الرباع المغلة، فجاءت نسيجة وحدها بهجة وصدراً وظرفاً وفخامة، وجلب الماء الكثير إليها من النهر ...". تسمى المدرسة بالمدرسة اليوسفية أو النصرية أو مدرسة قرطبة (ص ٢٦٢). وكانت الحياة العلمية مزهرة بالجامعة النصرية التي كانت تدرس علوم دينية وكذلك علم الطب (ريبيرا، ١٩٩٤م، ص ٢١).

تناولت دراسة عيسى (١٩٨٢م) الموسوعة الدولية والتعليم في الأندلس ومظاهر تدخل الدولة في التعليم، والمراحل التعليمية في الأندلس (حسب المنهج التعليمي - ومكان الدراسة)، والتعليم الخاص وظاهر الاهتمام بهذا النمط من التعليم. أشار الباحث إلى أن البعض لم يجد من النصوص ما يؤكد ذهاب البنات إلى المكتب في الأندلس ولا تتحدث المصادر كثيراً عن طريقة تعليم النساء ولكن كن يتعلمن في المساجد أو بيوتهن إلا أن شواهد تاريخية عديدة تدل على حركة تعليمية حسنة واسهامات متميزة في تربية الأمراء والخاصة والعامية (عيسى، ١٩٩٢م، ص ٢٦١، ٣٦٨، ٤٥٣، ٤٧٤). المدرسة النصرية ومسجد قرطبة من أشهر مراكز التعليم في الأندلس. يرى بعض المستشرقين أن تأسيس المدارس في إسبانيا الإسلامية قد أتى من إسبانيا المسيحية (ص ٣٧٨، ٣٩٠). يتعلم الأطفال في المساجد وبجانبه تحت السقائف وعند الشوارع العامرة بالناس وقرب الحوانيت وكان الحفظ هو الأساس في العملية التعليمية (ص ٢٢١، ٣٥١، انظر ابن عبدون، ١٩٥٥م، ص ٢٤).

تناولت الموسوعة البريطانية (Encyclopædia Britannica, 2010) الحياة في بلاد الأندلس بالتفصيل سياسياً وثقافياً، وذلك في عدة مداخل من الموسوعة البريطانية. تشير الموسوعة إلى أن المدن الإسلامية كانت في إسبانيا مختلفة عن مدن أوروبا النصرانية ففيها الحمامات الخاصة، والحدائق، والأسواق، والمساجد، والمستوى الثقافي الرفيع. كان المجتمع يتكون من أديان عديدة. تؤكد الموسوعة البريطانية أن ابن رشد (Averroës) الأندلسي القرطبي من أكبر فلاسفة الإسلام إذ وازن بين الفلسفة الإسلامية والفلسفة اليونانية ولعبت تعاليم ابن رشد دوراً حيوياً في خدمة تراث أرسطو وأبعد من ذلك كرس ابن رشد حياته للدفاع عن الفلسفة. استعرضت الموسوعة الحياة الثقافية في إسبانيا المسلمة كما تناولت شخصية ابن حزم وأثنت على تنوع كتاباته ولا سيما كتابه طوق الحمامة (The Ring of the Dove) الذي اعتنى بفن الحب. أشارت الموسوعة إلى أن بلاد الأندلس لها تراث عريق في علم الفلسفة كي تتناغم مع الحركة

الثقافية في بغداد من جهة ، ولكي تغطي النقص الناتج عن محدودية العناية بهذا العلم من جهة أخرى. من أبرز علماء الفلسفة في الأندلس الطيب ابن باجة (Avempace) وابن طفيل (IbnTufayl) صاحب قصة حي بن يقظان ذلك الرجل الذي عاش خمسين سنة من عمره في جزيرة مهجورة وطور فلسفته الشخصية فعرّف الحقيقة عن الله. اعتبرت الموسوعة ابن رشد أعظم فلاسفة الإسلام وتأثر به عدد من المفكرين اليهود والنصارى من مثل الفيلسوف توماس الاكوييني . اعتنى مسلمو الأندلس بالطواحين الهوائية وصناعة الورق.

كُتِبَ الباحثان موسن وألن (Muessig& Allen, 1962) بحثا عن تاريخ التربية الإسلامية بعنوان الإسهامات الإسلامية وأثرها في التربية الأمريكية. وتطرق بحثهما إلى أن زهاء ثمانية قرون كانت إسبانيا تحت الحكم الإسلامي منارة مشرقة ومثالا حضاريا للاستنارة. اهتم المسلمون هناك بالفن والأدب والعلوم والرياضيات والتاريخ والفلسفة والقانون وكان عشاق المعرفة في فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإنجلترا يشربون من نبع العلوم في المدن الإسلامية. درس سلفستر الثاني في إسبانيا وغيره الكثير من المفكرين الغربيين (ص ١٤١، ١٥٧). أثبت الباحثان أنّ التربية الغربية أخذت من المسلمين الكثير من المبادئ المهمة وخاصة بناء الجامعات والمعاهد العلمية. ذكر الباحثان مُناظرة قصيرة جرت أحداثها في الأندلس تكشف عن ذاتية التعلم عند المسلمين في تلك البلاد؛ مناظرة ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م) الطَّالِب الغني، ومناظرته مع سليمان الباجي (ت ٤٧٤ هـ = ١٠٨١ م) الطَّالِب الفقير. بعد محاورَة عِلْمِيَّة جرت بين الطَّالِبين اعتذر كل منهما عن تقصيره وقلة معلوماته فقال الباجي أنّه اعتاد أن يُطالع الكتب في اللَّيالي على ضوء سراج الحُرَّاس في الشَّارع في حين أنّ ابن حزم كان يُطالع الكتب على منابر الذهب والفضَّة وكأنَّ كل منهما يحاول أن يُثبت أنّ الفقر أو الغنى من العقبات التي تُواجه طالب العِلْم. في تلك الفترة لم تكن إنارة الشَّوارع وتوفير التَّعلِيم المجاني والحوار العِلْمِي من المفردات التي الدارجة في تلك النواحي وقت يومئذ. كان الفقير في الأندلس يريد المجد وكان الغني كذلك وكلاهما وجد التحديات وتغلب عليها.

### ملامح التعليم في بلاد الأندلس

تحفل الحضارات بكنوز فكرية لا حصر لها والتربية الإسلامية ذات تطبيقات متنوعة من شأنها أن تشحذ مداركنا وتزودنا بطاقة ايجابية ترسخ هويتنا العربية الإسلامية، وتوسع مسار فهمنا وابداعاتنا. إن قرطبة وحدها كان بها عدة مئات من هذه المعاهد وكما ورد في الموسوعة العربية العالمية "ومن أشهر الجامعات بها قرطبة، وأشبيلية، وملقا وغرناطة. وقد نقشت على بوابة جامعة غرناطة العبارة التالية : يقوم استقرار العالم ونظامه على أربعة أسس: علم الحكماء، وعدل الملوك، وصلاة العابدين، وبأس الشجعان . ووفد إلى جامعات الأندلس طلاب أوروبا وقساوستها وأمرؤها للدراسة". قال ابن المقرئ "ومن نظم ابن الجياب ما كتبه على باب المدرسة العلمية بَعْرَنَاطَة: (البيسط)

يا طالب العلم هذا بائنه فُتِحَا فادخلُ تشاهدُ سناه لاح شمس ضُحَى (ج ٥، ص ٤٥٧).

يقدر ابن المقري فكر ابن خلدون الذي عاصر الحياة الأندلسية وكان من البارزين على مسرح أحداثها وعلامة ذلك أن ينقل منه ويمدحه. قال ابن خلدون وهو يصف التعليم في بلاد الأندلس: وأما أهل الأندلس فمذهبههم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو وهذا هو الذي يراعونه في التعليم. إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم. فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والتَّرسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب". واليوم يفتح العربي جهاز الحاسوب الخاص به ويختار من الخطوط ما يشاء ويجد ضمن قائمة الخطوط الخط الأندلسي. وسطع نجم الأندلسيين في تجويدهم للقرآن نطقاً وكتابة ولازال الخط الأندلسي في كتابة القرآن الكريم من جميل مبتكراتهم، ومبعث اأبار، ومصدر اعجاب. قال ابن المقري: ومن فضائلهم اختراعهم للخطوط المخصصة بهم ... خط الأندلس له حسنٌ فائق، ورونق آخذ بالعقل، وترتيب يشهد لصاحبه بكثرة الصبر والتجويد (ج ٣، ص ١٥١).

ولقد اشتهرت الأندلس بالكتاتيب التي تعتنى بعلوم الدين وتجود ملكة الخط، كما اشتهرت الأندلس كسائر المدن الإسلامية بالمساجد الفسيحة حيث يتعلم الناس وقد يغلب على الدراسة فيها الطابع الجامعي في الحلقات العلمية فتتجلى بعض الجوامع على هيئة جامعة تدرس التخصصات الدقيقة. وكانت قصور الأمور تزدان بالمناظرات العلمية والمؤدبين، كما نشأت المدارس العليا، وخزائن الكتب، وفتح بعض العلماء والعلماء والعلما بيوهم لحلقات التعليم في الصباح والمساء. وتشير المصادر إلى أن الأندلسيين يعهدون تربية أولاد الأُمراء إلى كبار علماء المشرق ممن استقر في الأندلس (بروفنسال، ٢٠١٠م، ص ٨٨). كما تشير الدراسات المعاصرة إلى أن القصور الضخمة كانت مجمعات متعددة الأغراض ففي الحمراء كان القصر بمثابة جامعة إسلامية فيها حركة تعليمية وبحثية (Cunningham and Reich, 2006, p. 187).

وينقل ابن المقري عن بعض المتقدمين نظرات تربوية نقدية عميقة تنتقد ركود التعليم: "إنما أفسد العلم كثرة التواليف، وإنما أذهب ببيان المدارس ... وذلك أن التأليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم" (ص ١٠٦٥) ثم شرح هذا التوجه بالتفصيل. وهنا نجد ابن المقري يتحدث عن الرحلة كأصل من أصول التربية والتعليم وأن المختصرات وحفظ مجموعة محددة من المسائل أخل بالتعليم وأضر بمسيرة التربية رغم أن أسلوب الحفظ من أساليب التدريس الشائعة قديماً وحديثاً. إن الاعتماد على الكتب والافراط في تأليف الكتب من جملة المعطيات التي ألحقت ضرراً جسيماً في الحركة التعليمية لأن مساحات الخبرات الذاتية الناتجة من الرحلات والتجارب الواقعية تتقلص عندما يتم الاعتماد على هذا النمط من التعليم. يرى ابن المقري أن

انقطاع الرحلة والارتكاز على المدرسة أضعف العملية التعليمية في عصره وهذه اللفتة التربوية تدل على عمق وأصالة التحليلات المبثوثة في كتاب *نفع الطبيب*.

وفيما يتعلق بثقافة القراءة فلقد لعبت القراءة والتعلم والتعليم دورا عظيما في تكوين شخصية مثقفة في بلاد الأندلس حتى أن القصص والشواهد في هذا الباب لا حصر لها. قال ابن المقري عن كتاب الإحاطة الذي ألفه لسان الدين "فهو الطائر الصيت بالمشرق والمغرب، والمشاركة أشد إعجاباً به من المغاربة، وأكثر لهجاً بذكره، مع قلته في هذه البلاد المشرقية" (ج٧، ص ١٠٢). ويستطرد ابن المقري قائلاً "ولما وقف سلطان الأندلس من كتاب الإحاطة نسخة على بعض مدارس غرناطة كتب ابن عاصم حجة الوقفية بخطه، ولشبتها لما فيها من الفوائد، قال الأديب الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحداد الشهير بالوادي آشي نزيل تلمسان المحروسة: كان على ظهر النسخة الرائقة الجمال، والفائقة الكمال، من الإحاطة بتاريخ غرناطة المحبسة على المدرسة اليوسفية". وهذا يدل على أهمية الأوقاف التعليمية التي ساهمت عمليا في خلود الكتب وسهلت مرورها عبر القرون وإلا لاندثرت هذه الدرر ولغيبها كف النسيان والفقد والضياع.

كانت الوقفية في مجال الكتب وسيلة عظيمة لربط بلاد الأندلس بالمشرق العربي. قال ابن المقري "وكان لسان الدين ابن الخطيب - رحمه الله تعالى - أرسل في حياته نسخة من الإحاطة إلى مصر، ووقفها على أهل العلم، وجعل مقرها بخانقاه سعيد السعداء، وقد رأيت منها المجلد الرابع، وهذا نص وقفيته...". والنص السابق وثيقة تكشف لنا أهمية الخوانق و "أوقاف الخانقاه" في نشر العلم وحفظ عيون الأدب العربي. ومن المعلوم أن الربط والتكايا والخوانق والزوايا لعبت دورا مرموقا في الحركة العلمية طوال قرون عديدة. وفي التراث الإسلامي نقرأ: "وبها المساجد الجليلة ومدارس تسمى عندهم الخوانق"، ويقال "تحت نظره خوانق ومدارس وأنظار"، ويقال أيضا "تفقه وأعاد ودرس... وتولى مشيخة بعض الخوانق وكان دينا خيرا كثير المروءة"، "وأما رباطات الصوفية التي يسمونها الخوانق فكثيرة، وهي قصور مزخرفة، في جميعها الماء يطرد. وهناك ديار موقوفة لقراءة كتاب الله تعالى يسكنونها". لا يمكن الحديث عن مؤسسات التعليم في الحضارة الإسلامية دون الإشارة للدور المهم للخوانق والربط والتكايا. ومن أوسع من كتب في هذا المجال عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (المتوفى: ٩٢٧ هـ) في كتابه *الرائد: الدارس في تاريخ المدارس*.

يحكي ابن المقري موقفا طريفا حيث كان الكل (المثقف وغيره) يتنافسون في شراء الكتب في الأندلس مما يدل على هوس البعض في إنشاء مكتبات لكسب مكانة في المجتمع. قال ابن المقري "قال الحضرمي: أقمت مرة بقرطبة، ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع وهو بخط جيد... ففرحت به أشد الفرح، فجعلت أزيد في ثمنه، فيرجع إليّ المنادي بالزيادة عليّ، إلى أن بلغ فوق حدّه، فقلت له: يا هذا أربي من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوي، قال: فأراني شخصا عليه لباس رياسة، فدنوت منه، وقلت له: أعز الله سيّدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد



بلغت به الزيادة بيننا فوق حده؛ قال: فقال لي: لست بفقير، ولا أدري ما فيه، ولكي أقمت خزانة كتب، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته، ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير؛ قال الحضرمي: فأخرجني، وحملني على أن قلت له: نعم لا يكون الرزق كثيراً إلاّ عند مثلك، يعطى الجوز من لا عنده أسنان، وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب، وأطلب الانتفاع به، يكون الرزق عندي قليلاً، وتحول قلّة ما بيدي بيني وبينه".

وفي موضع آخر يكشف ابن المقرئ عشق أهل قرطبة للكتب فيقول "ومن محاسنها ظرف اللباس، والتظاهر بالدين، والمواظبة على الصلاة، وتعظيم أهلها لجامعها الأعظم، وكسر أواني الخمر حيثما وقع عين أحد من أهلها عليها، والتستر بأنواع المنكرات، والتفاخر بأصالة البيت وبالجنديّة وبالعلم، وهي أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأشدّ الناس اعتناءً بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة، حتى إن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة... تكون في بيته خزانة كتب، وينتخب فيها ليس إلاّ لأن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به" (ج ١، ص ١٤١).

وفي مجال التربية ساهم ابن المقرئ بالحفاظ على سرد ممارسات الصوفية وبيان أعلامهم وكتبهم واسهاماتهم وأبياتهم الشعرية ومنهجهم في تربية البرية. من شروط الصوفية لدى ابن المقرئ "ترك الأذى" (ج ٦، ص ٣٨٣). ويورد عن الشيخ قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن سبعين المرسي ما يلي "صوفي متفلسف، متزهد متقشّف، يتكلّم على طريق أصحابه، ويدخل البيت ولكن من غير أبوابه، شاع أمره، واشتهر ذكره، وله تصانيف وأتباع، وأقوال يميل إليها بعض القلوب وتملّها بعض الأسماع، وكانت وفاته بمكة المشرفة عن نحو خمسين سنة، تغمّده الله تعالى برحمته". أورد ابن المقرئ مدحا للصوفيين ونقل قصصهم وأقوالهم دون نقد صريح أو استغراب لمبالغاتها.

وعن التربية الأخلاقية ينقل لنا ابن المقرئ موعظة جميلة تعكس قيم ذلك العصر وعصارة الفكر التربوي السائد حينئذ "واجعلوا صلة الأرحام من عزم الأمور، وصونوا عن الاغتياب أفواهكم، ولا تعوّدوا السفاهة شفاهكم، وأقرضوا القرض الحسن إلهكم، وعلموا القرآن صبيانكم، فهو أسّ المبنى، وازرعوه في تراب ترائبهم فعسى أن يجنى، ولا تتركوا النصيحة لمن استنصح، وردوا السلام على من بتحية الإسلام أفصح، وجاهدوا أهواءكم فهي أولى ما جاهدتم، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، وثابروا على حلق العلم والتعلّم، وحفوا بمراقي التكلّم، وتعلّموا من دينكم ما لا يسعكم عند الله تعالى جهله، ويتبين أنكم أهله" (ج ٧، ص ٣٨٠).

وفي بيان بديع يصف ابن المقرئ الأندلسيين والعلوم والآداب قائلاً "وأما حال أهل الأندلس في فنون العلوم فتحقيق الإنصاف في شأنهم في هذا الباب أنهم أحرص الناس على التمييز فالجاهل الذي لم يوفقه الله

للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً عالماً على الناس لأن هذا عندهم في نهاية القبح والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار إليه ويحال عليه وينبه قدره وذكره عند الناس ويكرم في جوار أو ابتياع حاجة وما أشبه ذلك".

وعلى عكس بلاد الشرق نجد أنه ليس لأهل الأندلس مدارس كثيرة تعينهم على طلب العلم بل كانوا كما يقول ابن المقرئ "يقروون جميع العلوم في المساجد بأجرة فهم يقرءون لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جارية فالعالم منهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على أن يترك الشغل الذي يستفيد منه وينفق من عنده حتى يعلم". وملاحظة المقرئ السابقة دقيقة جداً فعندما تصبح غاية التعلم المصلحة المادية وتحسين المنزلة الاجتماعية من دون باعث ذاتي حينئذ تكثر الشهادات وتقل الكفاءات. التنمية الذاتية والوازع الداخلي من أعظم أسباب التقدم في التعلم.

ويكشف لنا ابن المقرئ عن صعوبات تعلم الفلسفة الأندلس فرغم سطوع نجم عدد من الفلاسفة في الأندلس إلا أن الأمر كان عسيراً. قال ابن المقرئ "وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم فإن لهما حظاً عظيماً عند خواصهم ولا يتظاهر بهما خوف العامة فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم زنديق وقيدت عليه أنفاسه فإن زلّ في شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان أو يقتله السلطان تقريباً لقلوب العامة وكثيراً ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن" (ج ١، ص ٢٢٠). أشار ابن المقرئ اشارات سريعة جداً لابن طفيل صاحب رسالة "حي بن يقظان" وأوضح أن ابن طفيل متقدم في علم الفلسفة والطب (ج ٣، ص ١٩٣) ولم يسر الأغوار الفلسفية لتلك القصة الأسطورية. للأسف لازالت الثقافة العربية لا ترحب كثيراً بالفلسفة وقد تعادىها باسم الدين فالعداء للفلسفة متأصل في فكر عدد غير قليل لدينا منذ أمد بعيد.

وكانت العلوم التطبيقية محط ثناء العلماء. قال ابن المقرئ عن الحكيم عباس بن فرناس "ومن حكاياتهم في الذكاء واستخراج العلوم واستنباطها أن أبا القاسم عباس بن فرناس، حكيم الأندلس، أول من استنبط بالأندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فك بها كتاب العروض للخليل، وأول من فك الموسيقى، وصنع الآلة المعروفة بالمنقانة ليعرف الأوقات على غير رسم ومثال، واحتال في تطيير جثمانه، وكسا نفسه الريش، ومد له جناحين، وطار في الجو مسافة بعيدة" (ج ٣، ص ٣٧٣).

شأنهم شأن أهل المشرق عشق أهل الأندلس الرحلة في طلب العلم وكانت أساس التعليم العالي وعبر هذه الوسيلة نبغ العلماء وحملوا لواء الابداع. حرص ابن المقرئ على ذكر منافع الرحلة وأهميتها ودورها في حياة العلماء فضلاً عن طلبه العلم. قال ابن المقرئ في وصف ابن الأزرق "ومن الراحلين من الأندلس إلى المشرق بعد أخذ جميع [علوم] بلاد الأندلس - أعادها الله تعالى - قاضي الجماعة بغرناطة أبو عبد الله محمد

بن علي ابن محمد بن الأزرق، قال السخاوي: إنه لازم الأستاذ إبراهيم بن أحمد ابن فتوح مفتي غرناطة في النحو والأصليين والمنطق، بحيث كان جلّ انتفاعه به، وحضر مجالس أبي عبد الله محمد السرقسطي العالم الزاهد مفتيها أيضاً في الفقه... " (ج ٢، ص ٦٩٩).

استناداً لأفكار ابن المقرئ التربوية فإن انتشار الرحلات في طلب العلب دلالة على ازدهار التعليم في العصور الزاهرة. إن شيوع المدارس، وكثرة التأليف وانحسار الرحلات وتقلصها وضعف البواعث على تقصي المعرفة من جملة الأسباب التي أدت إلى ضعف التعليم. تأليف الكتب عامة من علامات الازدهار عندما تتضمن خلاصة تجارب ورحلات ومعايشة أما مجرد الكتابة بغرض الظهور والفخر والوجاهة فإن ذلك تضخم في الظاهر و فراغ في الباطن. انتبه ابن المقرئ إلى أن الرحلة من أصول التربية في زمنه وعندما يسقط الأصل تندلع نيران التخلف المرير، وآفات الجمود المقيت، وكوارث التقليد المميت.

ومن الملاحظ أن الكثير من الأمراء وأهل السخاء والنبلاء كانوا من محبي المعرفة وناصري العلماء مما قلص درجة التشدد الديني، وشجع طابع التنوع الثقافي. يحكي لنا ابن المقرئ أنه لما "دخل بقيّ بن مخلد الأندلس بمصنف ابن أبي شيبة وقرأ عليه أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف واستبشعوه، وقام جماعة من العامة عليه، ومنعوه من قراءته، فاستحضره الأمير محمد وإياهم، وتصفح الكتاب جزءاً جزءاً حتى أتى على آخره، ثم قال لحازن كتبه: هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه، فانظر في نسخه لنا، وقال لبقّي: انشر علمك، وارو ما عندك، نهام أن يتعرضوا له" (ج ٢، ص ٥١٩).

وفيما يتعلق برعاية وتربية الطفولة نجحت التربية الأندلسية في اعداد الطفل وتدريبه مبادئ اللغة في المرحلة الابتدائية على نحو أفضل مما يجري في مقاطعة إسلامية أخرى لأنهم يدرسون الشعر ونصوص أدبية أخرى تؤهلهم جيداً للدراسات العليا (ريبيرا، ١٩٩٤م، ص ٦٠). وينقل لنا ابن المقرئ نصوصاً نادرة تكشف عن ما ينبغي للمعلم أن يفعله تجاه الطفل "وأما الولد فأحسن آدابهم، واجعل الخير دأبهم، وخف عليهم من إشفافك وحنانك، أكثر من غلظة جنانك، واكتم عنهم ميلك، وأفض فيهم جودك ونيلك، ولا تستغرق بالكلف بهم يومك ولا ليلك، وأثبتهم على حسن الجواب، وسبق لهم خوف الجزاء على رجاء الثواب، وعلمهم الصبر على الضرائر، والمهلة عند استخفاف الجرائر، وخذهم بحسن السرائر، وحبب إليهم مراس الأمور الصعبة المراس، وحسن الاصطناع والاحتراس، والاستكثار من أولي المراتب والعلوم، والسياسات والحلوم، والمقام المعلوم، وكره إليهم مجالسة الملهين، ومصاحبة الساهين، وجاهد أهواءهم عن عقولهم، وحذر الكذب على مقولهم، ورشحهم إذا آنست منهم راشداً أو هدياً، وأرضعهم من الموازنة والمشاورة ثدياً، لتمرهم على الاعتياد، وتحملهم على الازدياد، ورضعهم رياضة الجياد، واحذر عليهم الشهوات فهي داؤهم، وأعداؤك في الحقيقة وأعداؤهم، وتدارك الخلق الذميمة كلما نجمت، واقدعها إذا هجمت، قبل أن يظهر تضعيفها، ويقوى ضعيفها، فإن أعجزتك في الصغر الحيل، عظم الميل:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولن تلين إذا قومتها الخشب

وإذا قدروا على التدبير، وتشوفوا للمحل الكبير، إياك أن توطنهم في مكانك، جهد إمكانك، وفرقهم في بلدانك، تفريق عبدانك، واستعملهم في بعوث جهادك، والنيابة عنك في سبيل اجتهادك، فإن حضرتك تشغلهم بالتحاسد، والتباري والتفاسد، وانظر إليهم بأعين الثقات فإن عين الثقة، تبصر ما لا تبصر عين المحبة والمقة [المحبة والرضا]."

وهكذا لدينا ومضات تاريخية تؤكد اهتمام أهل الأندلس بتعليم الأطفال وانتقاء أجود العلوم سعياً إلى تثقيفهم، فظهرت أجيال من المثقفين والمثقفات في ميادين معرفية شتى لهم دراية عملية بسياسة الأمور وحسن المعيشة.

### العناية باللغة العربية

حظيت علوم اللغة العربية بمرتبة رفيعة في لأندلس ولا عجب أن نجد ابن المقري يستفيض في إيراد الأخبار والقصائد والقصص ويمدح جليل ألفاظها، وعميق أفكارها، وعظيم مقاصدها التعليمية. اللغة العربية ليست مجرد وسيلة تواصل بل هوية أمة، وملهمة الثقافة العربية الإسلامية، وركيزة تفكير وأداة تعبير، ومن لوازم التربية والتعليم، ومن مكونات ومقومات المجتمع المسلم. إنها لغة قادرة على مساندة التقدم والرقي والتجديد والتراث الأندلسي خير أنموذج .

عرض ابن المقري جوانب الحياة الثقافية والدينية والاجتماعية فتناول شعر الشعراء ومنهم "الصوفي الشهير أبو الحسن علي الششتري، وهو علي ابن عبد الله النميري، عروس الفقهاء، وأمير المتجربين، وكان مجوداً للقرآن، قائماً عليه، عارفاً بمعانيه، من أهل العلم والعمل، جال الآفاق، ولقي المشايخ، وحج حجّات، وآثر التجرد والعبادات. له علم بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية، وتقدم في النظم والنثر على طريقة التحقيق، وأشعاره وموشحاته وأزجاله الغاية في الانطباع" (ابن المقري، ج ٢، ص ١٨٥، باختصار). وله ديوان شعر مشهور، ومن نظمه قوله، رحمه الله تعالى:

لقد تمّت عجباً بالتجرد والفقر ... فلم أدرج تحت الزمان ولا الدهر

وجاءت لقلبي نفحةً قدسيةً ... فغبت به عن عالم الخلق والأمر

وفي هذا الخط تؤكد كتب اللغة على أن الرّجُل: نوعٌ من الشّعْر تغلب عليه العاميّة . "شِعْرُ الرّجُلِ":

قَصَائِدُ شِعْرِيَّةٍ بِاللّهْجَةِ العامِّيَّةِ وقالوا الرجل في أصله أغنية شعبية. وينقل ابن المقري أن " أول زجل عمل في الدنيا:

بالله يا طير مدلل ... مر بي وسط القفار  
إياك تجدد لعاده ... ترمي حجيرة في داري" (ج ٥، ص ٢٣٤).

وإذا كان العرب يهتمون بالأرجوزة وهي القصيدة من بحر الرَّجَز فإن لابن المقري عدة أراجيز منها أزهار الكمامة في شرف العمامة ويحدثنا ابن المقري كيف كانت الأراجيز التاريخية مثلاً منتشرة ذات هدف تنقيفي فيقول "وليجي بن حكم الشاعر المعروف بالغزال في فتح الأندلس، أرجوزة حسنة مطولة ذكر فيها السبب في غزوها نظماً، وتفصيل الوقائع بين المسلمين وأهلها، وعداد الأمرء عليها وأسماءهم، فأجاد وتقصى، وهي بأيدي الناس موجودة" (ج ١، ص ٢٨٢). ويصف أحد العلماء قائلًا "وله أرجوزة في القراءات السبع وأخرى في مخارج الحروف" (ج ٢، ص ١٥٦). وعن عالم آخر يقول أيضا ابن المقري "وله أرجوزة في الفرائض مبسطة العبارة مستوفية المعنى" (ج ٥، ص ٣٥٢).

ومن زاوية تربوية "قد شارك شعراء الأندلس في الشعر التعليمي وتوسعوا أكثر من المشاركة في الأراجيز والقصائد التاريخية. وقد ابتدع متأخروهم لونا جديدا من الشعر التعليمي يتمثل في نظم متون في العلوم المختلفة، تيسيرا للدارسين على استيعابها وتذكرها عند الاقتضاء لسهولة حفظ الشعر" (عتيق، بدون تاريخ، ص ٣٣٣). وإذا كان العرب يُنشدون الأراجيز في حذاء الإبل قديما فإنهم وظفوا هذا اللون لاحقا في التعليم فاقترنت المنظومات التعليمية والطابع الأدبي بالمقصد التعليمي على نحو بديع.

من الكتب المشهورة التي وظفت الأراجيز كتاب ألفية ابن مالك في النحو والصرف للعلامة مُحَمَّد بن عبدالله بن مالك الأندلسي، فذلك الكتاب عرَضَ قواعد اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بأسلوب ناسب إمكانات ذلك العصر وثقافة النَّاس حينذاك. نظر المسلمون إلى هذا الفن على أساس أنه فن تلقيني مُتمتع يحتوي على الأشعار العِلْمِيَّةِ، والقوانين الفِكْرِيَّةِ. وعلى هذا فإنَّ من أهداف التَّعليم في المدارس تزويد الطالب بمحفوظاتٍ جيدة ينتخبها المعلم ويحفظها الطالب حفظاً يعينه على حل المسائل لاحقا. ومن أجل التبسيط والتيسير والتسهيل استخدم الأندلسيون الشعر التعليمي (الأرجوزة وتسمى المنظومات أيضا) لا سيما في تدريس النحو.

قال ابن المقري في عناية أهل الأندلس بالشعر واللغة العربية "وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لأنها عندهم أرفع السمات. وعلم الأصول عندهم متوسط الحال والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة حتى إنهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه لا يزداد مع هرم الزمان إلا جدَّةً وهم كثير و

البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه وكل عالم في أيّ علم لا يكون متمكناً من علم النحو فليس عندهم بمستحق للتميز ولا سالم من الازدراء مع أن كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عمّا تقتضيه أوضاع العربية. وعلم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم وبه يتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفلٌ مستثقلٌ. والشعر عندهم له حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة ولهم عليهم وظائف والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم المختلفة ويوقع لهم بالصلوات على أقدارهم إلا أن يختل الوقت ويغلب الجهل في حين ما ولكن هذا الغالب" (باختصار).

ومن زاوية نسوية، ساهمت المرأة بنصيب في الابداع الأدبي ولقد قدم لنا ابن المقري ترجمات موجزة عن بعض نساء الأندلس الشاعرات من مثل حسانة التميمية بنت أبي المخشي، إذ تأدبت وتعلمت الشعر (ج ٤، ص ١٦٩)، و أم العلاء بنت يوسف الحجارية من أهل المائة الخامسة، ومن شعرها:

كل ما يصدر منكم حسن وبعليكم تحلى الزمن

تعطف العين على منظركم وبذكراكم تلد الأذن

ومنهن أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح ملك المرية، كانت تنظم الشعر، وعشقت الفتى المشهور بالجمال من دانية المعروف بالسمار، وعملت فيه الموشحات (ج ٤، ص ١٧٠). ومنهن العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب. سكنت بلنسية، وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة، لكنها فاقتته في ذلك، وبرعت في العروض، وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقالي وتشرحهما، قال أبو داود سليمان بن نجاح: قرأت عليها الكتابين، وأخذت عنها العروض، وتوفيت بدانية بعد سيدها في حدود الخمسين والأربعمائة، رحمها الله تعالى. ومنهن حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الأديبة المشهورة بالجمال، والحسب والمال" (ج ٤، ص ١٧١). وما سبق يدل بوضوح على تواجد المرأة في الحياة الفكرية وحركتها الاجتماعية.

### تربية النساء

لعبت المرأة الأندلسية دورا حيويا كأم وزوجة وبنت وأخت وكانت تظهر في المحيط المجتمعي في أماكن عديدة. وثمرة تلك المشاركة مساهمات علمية وأدبية وثقافية على قدر رفيع من الحضارة والرقي لازال الباحثون يمتحون من رضاب خيرها وينهلون من معين عطائها.

ساهمت المرأة في الحياة الثقافية في بلاد الأندلس وقد اشتهر عدد كبير منهن بقول الشعر وحب الأدب والغناء وإنشاء المجالس الأدبية. أورد ابن المقري التلمساني في موسوعته الأدبية المهمة "نفع الطيب" فصلا كاملا عن شاعرات وأديبات في الأندلس تتضمن ترجمات لأربع وعشرين امرأة، كان لبعضهن منتديات أدبية معروفة يشارك فيها نخبة من الرجال والنساء من ميادين شتى في الفنون والأدب. ومن الشخصيات المرموقة في المجالس الأدبية حفصة بنت الحاج الركونية، وولادة بنت الخليفة المستكفي، وعائشة القرطبية، ونزهون بنت القلاعي القرناطية (أبوزيد، ٢٠١٣م، ص ٤٣). وهكذا ثمة اشارات في مواطن عديدة أن المرأة الأندلسية البرزة تحالط الناس وفق قيم الأدب والعفة.

ومن "دلائل التفوق العلمي وازدهار التعليم في المجتمع الأندلسي ما عرف عن بعض حلقات العلم التي كانت تعقدها بعض النساء ممن وصلن إلى درجة رفيعة من العلم والأدب، فقد كانت الأديبة مريم بنت يعقوب الفصولي تعلم النساء وتعطينهم دروسا في الأدب مع احتشام وعفة". ومما يبعث على الإعجاب أن العلم لم يكن مقصورا على الرجال فقد كانت فاطمة بنت محمد بن علي أخت المحدث عبدالله تشارك أخاها في الأخذ من بعض شيوخه وأجاز لها العلماء (البشري، ١٩٩٧م، ١٤٣، ١٧٥). وعليه فقد مارس الأندلسيون مفهوم التعلم بلا حدود بصورة حسنة وساهمت المرأة في وفرة الإنتاج الأدبي في عصر كانت المرأة في حضارات أخرى مسلوقة الحقوق.

ورغم ذلك كله كانت هناك نزعة لإبعاد المرأة عن ميادين شتى ولا شك أن هيمنة الذكور كانت هي الطاغية على الساحة السياسية والثقافية وهذا ما نجده أثناء التجوال في كتاب *نفع الطيب لابن المقري* وهذا لا يعني عدم وجود واحات ثقافية خصبة نجحت المرأة في الظهور على مسرحها. بيد أن النظر إلى وضع المرأة عبر التاريخ يهدينا إلى أن ظهور المرأة على الساحة الأندلسية على تلك الشاكلة من التجليات الثقافية المتقدمة لتلك العصور. للأندلسيين عناية فائقة بالأوقاف على الفقراء والمساكين وأعمال البر عموماً وجعلوا للنساء نصيباً، فعرفوا تحبب الأواني لتستعملها العروس الفقيرة في حفلة زفافها إضافة إلى الحلبي والثياب للغرض نفسه (انظر الموسوعة العربية العالمية، الحضارة الإسلامية في الأندلس).

أحسن ابن المقري صنعا عندما خصص صفات للمرأة في كتابه *نفع الطيب* وليقدم بهذا الصنيع مادة علمية تدل على مكانة المرأة المتعلمة في الحضارة الإسلامية. قال ابن المقري في ذكر جملة من نساء أهل الأندلس: "وإذا وصلت إلى هذا الموضوع من كلام أهل الأندلس، فقد رأيت أن أذكر جملة من نساء أهل الأندلس اللاتي هن اليد الطولى في البلاغة، كي يعلم أن البراعة في أهل الأندلس كالغريزة لهم، حتى في نسائهم وصبيانهم. فمن النساء المشهورات بالأندلس، أم السعد بنت عصام الحميري، من أهل قرطبة، تعرف بسعدونة، ولها رواية عن أبيها وجدها وغيرهما" (انظر ج ٤، ١٦٦).

ويسترسل ابن المقري في التعريف بعدد من النساء ومنهن حسانة التميمية بنت أبي المخشى تأدبت وتعلمت الشعر، فلما مات أبوها كتبت إلى الحكم، وهي إذ ذاك بكر لم تتزوج:

إني إليك أبا العاصي موجعة أبا المخشى سقته الواكف الديم  
 قد كنت أرتع في نعماه عاكفة فالיום آوي إلى نعماك يا حكم  
 أنت الإمام الذي انقاد الأنام له وملكته مقاليد النهى الأمم  
 لا شيء أخشى إذا ما كنت لي كنفاً آوي إليه ولا يعروني العدم  
 لا زلت بالعزة القعساء مرتدياً حتى تذلل إليك العرب والعجم

فلما وقف الحكم على شعرها استحسنته، وأمر لها بإجراء مرتب، وكتب إلى عامله على البيرة فجهزها بجهاز حسن. وفي هذا المجال أشار ابن المقري إلى الشاعرة الغسانية البجانية، وهي من أهل المائة الرابعة، فمن نظمها من أبيات:

عهدتهم والعيش في ظل وصلهم أنيق وروض الوصل أخضر فينان  
 ليالي سعد لا يخاف على الهوى عتاب ولا يخشى على الوصل هجران

كما أشار إلى العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب. سكنت بلنسية، وكانت قد أخذت عن مولاها النحو واللغة، لكنها فاقتته في ذلك، وبرعت في العروض، وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر للقيلي وتشرحهما، قال أبو داود سليمان بن نجاح: قرأت عليها الكتابين، وأخذت عنها العروض، وتوفيت بدانية بعد سيدها في حدود الخمسين والأربعمئة. تحدث ابن المقري أيضا عن حفصة بنت الحاج الركونية الشاعرة الأدبية المشهورة بالجمال، والحسب والمال.

ومما سبق تظهر المرأة في المجال الاجتماعي والتعليمي والأدبي سمة خالدة في مجتمعها وإن لم تسهم في تأليف الكتب والمؤلفات المرموقة كما فعل الرجل.

ومن أشهر نساء الأندلس الأدبية الشاعرة ولأدة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر لدين الله. ولادة أميرة أندلسية مشهورة، وأدبية بارعة خلد التاريخ اسمها واستقطبت الأدباء لمجلسها الأدبي العامر. قال ابن المقري: وكانت واحدة زمانها، المشار إليها في أوائها، حسنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة، كتبت بالذهب على طرازها الأيمن:

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتبه تيتها

وكتبت على الطراز الأيسر:

وأمكن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلي من يشتهيها

وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف، وفيها خلع ابن زيدون عذاره، وقال فيها القصائد الطنانة والمقطعات، وكانت لها جارية سوداء بديعة المعنى، فظهر لولادة أن ابن زيدون مال إليها، فكتبت إليه:

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا لم تھو جاريتي ولم تتخير



وتركت غصناً مثمراً بجماله وجنحت للغصن الذي لم يثمر  
ولقد علمت بأني بدر السما لكن ولعت، لشقوقي، بالمشتري"  
وأشار ابن المقري لولادة وشعرها في ابن زيدون... نقل ابن المقري أبيات عديدة لولادة تدل بوضوح  
على قوة شخصيتها وحريتها في التعبير عن مشاعرها المتقلبة بين ألوان الغرام والهيام، والقرب والبعد، والرغبة  
والجفاء.

وقال ابن المقري "يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة "العريبات" لمحافظتهن على المعاني  
العربية، ومن أشهرهن زينب بنت زياد الوادي آشي، وأختها حمدة، وحمدة هي القائلة وقد خرجت إلى نهر  
منقسم الجداول بين الرياض مع نسائها فسبحن في الماء وتلاعبن" (ج ٤، ٢٨٩). ومن نساء الأندلس  
المبدعات عائشة بنت أحمد القرطبية. وينقل لنا ابن المقري في كتابه نفح الطيب "لم يكن في زمانها من حرائر  
الأندلس من يعدلها علماً وفهماً وأدباً وشعراً وفصاحة، تمدح ملوك الأندلس وتخطبهم بما يعرض لها من  
حاجة، وكانت حسنة الخط، تكتب المصاحف، وماتت عذراء لم تنكح سنة أربعمائة... إنها من عجائب  
زمانها، وغرائب أوانها" (ج ٤، ٢٩٠). وقال ابن المقري "منهن أم الهناء بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن  
عطية، سمعت أباه، وكانت حاضرة النادرة، سريعة التمثل، من أهل العلم والفهم والعقل" (ج ٤، ص ٢٩٢).  
وتدل كتابات ابن المقري على أهمية المغنيات في التاريخ الأندلسي حيث وثق العلماء سيرتهن وكيف  
كن يجمعن بين الغناء، وحسن الأدب، وسعة العلم، والشهرة الدائمة. لا تحلو الحياة من غير رؤية إسهامات  
النساء إلى جانب الرجال فمن أبسط قوانين العدالة أن تؤدي المرأة دورها في الحياة دون تهميش. إن دور المرأة  
في بناء الحضارات لا مربية فيه لأولي الألباب.

ويذكر التاريخ أن المرأة الأندلسية كانت قدوة لنساء العالم ودليل ذلك "أن ملك إنجلترا "جورج الثاني"  
أرسل بعثة من بنات النبلاء والأشراف وفي مقدمتهن الأميرة "دويانت" ابنة أخيه إلى قرطبة، ووجه معهن  
خطاباً إلى الخليفة الأموي يقول فيه: أردنا لأبنائنا اقتباس حضارتكم لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر  
العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل" (أبو شعيرة، ص ٢٣٧). وتوصل الدوسري (٢٠٠٤م) في بحثه إلى أنه  
"لم تكن المرأة الغرناطية في عزلة عن المجتمع بل تمتعت نساء غرناطة بقسط نسبي جيد من الحرية لم تتمتع بها  
زميلاتهن في بلاد المشرق؛ إذ تجاوزن وضعهن الطبيعي وساهمن في مجالات متعددة اقتصادية واجتماعية وثقافية  
واقترحن مجال العلم والمعرفة، وأظهرن كفاءتهن العلمية" (٣٤٩).

وبناء على ما سبق فإن الحركة العلمية للمرأة الإسلامية لاقت أهمية بالغة وإن كان بعض العلماء من  
السابقين في تراثنا العربي حاول منع النساء من التقدم الثقافي بناء على مسوغات اجتماعية لكن تلك  
المعوقات لم تفلح تماماً أو على الأقل لم تحقق غايتها في الأندلس. استناداً للمعطيات السابقة وغيرها فإنه من  
دلائل التوفيق في كتابات ابن المقري أنه خصص شطراً غير قليل من كتاباته لتتبع ابداعات المرأة.

### التربية الموسيقية

التربية الموسيقية وسيلة مهذبة للارتقاء بالإنسان فكراً وذوقاً وصحة. "وقد كانت الأمة الأندلسية أمة مرهفة الشعور والحس، تعشق الفن الجميل، وتحب الحياة الناعمة المترفة، وتجنح إلى المرح والطرب. وقد وصف لنا ابن الخطيب لمحة من هذا الترف، الذي كان عنواناً لحياة الأمة الأندلسية في عصورها الأخيرة، وذكر لنا كيف كان الشعب يعشق الغناء والموسيقى، وكيف كانت غرناطة تموج بالمقاهي الغنائية التي يؤمها الشعب من سائر الطبقات. وللأندلسيين آثار قيمة في الموسيقى العلمية والعملية" (عنان، ١٩٩٧م، ص ٥، ص ٥١٦، باختصار).

أما الموسيقى في الأندلس في سطر فيها العرب صفحات من المجد، فارتقت العلوم والفنون وكانت قرطبة موطناً للعلماء وأشبهيلية مركزاً للشعر وصناعة الآلات. اهتم خلفاء الأندلس بالموسيقى حتى انتشرت وذاع صيتها وغزت جميع طبقات الشعب" (الطاهر، ٢٠٠٥م، ص ٥١).

ارتبطت الموسيقى برواد الفلسفة وكما قال ابن المقري "وأما الموسيقى فكتاب أبي بكر ابن باجة الغرناطي في ذلك فيه كفاية وهو في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي بالمشرق، وإليه تنسب الألحان المطربة بالأندلس التي عليها الاعتماد... الحكيم أبو بكر ابن باجة صاحب التلاحين المعروفة... إنه آخر فلاسفة الإسلام بجزيرة الأندلس" (ج ٣، ص ١٨٥، ج ٧، ص ٧، ج ٧، ص ١٧). كما ارتبطت الموسيقى بالشعر حيث بلغ أدباء الأندلس الغاية في حسن الأداء وتطوير علوم اللغة العربية في تحقيق الأغراض النبيلة وأصبح من أهل الأندلس أعلام البيان وفرسان الكلمة الفصيحة سواء من الرجال أو النساء كما سبق أن بينا في هذه الدراسة.

وهناك على أرض الأندلس تناغمت الفلسفة مع الشعر مع الموسيقى. "اشتهر في الأندلس كثير من الموسيقيين والمغنين وعلى رأسهم ابن الحاجب الشاعر والملحن والمغني، وولادة بنت المستكفي الشاعرة والمغنية، والصقلّي المغني، والطبيب يحيى بن عبد الله الذي كان يحدد في تكوين الفرقة الموسيقية المصاحبة لغناء الزجل وذلك بإدخال آلات النفخ النحاسية، وابن الحمراء الملحن والعازف البار. ولكن المؤلف الأكثر عمقاً كان الفيلسوف ابن باجة وهو في الوقت نفسه عالم نظري وعازف ماهر ومغن بارع، وقد ألف كتاباً يلخص فيه المعارف الموسيقية مما يضعه في صف واحد مع الفارابي" (الموسوعة العربية السورية، ج ٣، ص ٨٢٧).

وكانت مدينة أشبيلية شغوفة بالموسيقى يعيش فيها كثير من محبي الثقافة الموسيقية ولقد نقل ابن المقري عبارات تشير لذلك .. "إذا مات عالمٌ بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات مطربٌ بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية، قال: وقرطبة أكثر بلاد الله كتباً" (ج ١، ص ١٥٥). وهذا لا يعني أن قرطبة لم تكن تهتم بالحركة الموسيقية. لقد انطلقت الموسيقى وتألفت في بدايات الحضارة الأندلسية في قرطبة كما تشير المراجع. "أنشأ زرياب معهداً للموسيقى في قرطبة ودرّس فيه عدداً كبيراً من الموسيقيين، كما درّس فيه أبناءه الثمانية وبنتيه عليّة وحمدونة" (الموسوعة العربية العالمية، ٢٠٠٤م، زرياب، انظر أيضاً بالنتيا، ٢٠٠٨م، ص ٧٦).

وعندما نتعقب الفترة الذهبية للموسيقى الأندلسية نجدها مقترنة بزرياب. يذكر ابن المقري نبذة عن سيرة زرياب فيقول: "وقدم سنة ست ومائتين زرياب المغني من العراق، وأورث صناعة الغناء بالأندلس وخلف أولاداً فخلفه كبيرهم عبد الرحمن في صناعته وحظوته" (ابن المقري، ج ١، ص ٣٤٤، باختصار). جاء زرياب قرطبة "وكان زرياب مثقفاً كبيراً وفلكياً بارعاً وعالماً مقتدرًا وشاعرًا مطبوعًا. وقد طور زرياب الموسيقى العربية فزاد الوتر الخامس في العود وعزف بريشة النسر بدل الخشب، وأسس مدرسة تعليم الموسيقى يلقت طلابه فن الموسيقى على مراحل من الإيقاع إلى الألحان والعزف. ولا يقبل في مدرسته إلا بعد امتحان لأصوات الطلاب والكشف الطبي عن الصدر والأسنان. من إسهامات زرياب في مجال الموسيقى أنه الذي ابتدع القوالب التي بُنيت عليها الموشحات الجديدة بالأندلس" (الموسوعة العربية العالمية، ٢٠٠٤م، الحضارة الإسلامية في الأندلس، أيضاً زرياب، باختصار وتصرف).

بسط ابن المقري القول متحدثاً عن عبقرية زرياب وكان مما حكاه "وكان زرياب عالماً بالنجوم وقسمة الأقاليم السبعة واختلاف طبائعها وأهويتها وتشعب بحارها وتصنيف بلادها وسكانها، مع ما سنع له من فك كتاب الموسيقى، مع حفظه لعشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بألحانها" (ج ٣، ص ١٢٧). وفي صفحات طويلة ذكر ابن المقري ابداعات زرياب ومسيرة حياته وأبرز طلابه. كان لزرياب وفكره التربوي مساهمات جوهرية في تطور الموسيقى الأندلسية والارتقاء بها نحو العالمية ونقل لها ميراث المشرق وطوره تطويراً لا نظير له. كانت الأندلس بحق وحقيقة أرض الأحلام ترنوا لها النفوس الطامحة للعلوم والفنون والابداع.

وبناء عليه وفي عهد زرياب تم تطوير العملية التعليمية الموسيقية برمتها. "وكانت العادة قبل زرياب، في تعليم الغناء، أن يكرر اللحن عدة مرات حتى يتم للتلميذ المغني أخذه على تمامه. أما زرياب فقد جعل طريقته في التعليم في ثلاث مراحل: يتعلم التلميذ في المرحلة الأولى ميزان الشعر ثم يقرؤه وهو ينقر على الدف ليبدل على مفاصل الميزان وليبين مواضع الحركات في تبيان لمواضع القوة والضعف، وفي المرحلة الثانية يتعلم التلميذ

الحن بسيطاً مجرداً من كل زخرفة، أما في المرحلة الثالثة فيتعلم التلميذ الزخرفة وما يتبعها من إظهار للعواطف. وكان زرياب يخضع تلاميذه للاختبار، قبل البدء بتعليمهم، فيجلسون على مقاعد عالية ويصيحون بكل ما في صدورهم من قوة (يا حقام) ... ممدودة على جميع درجات السلم، وبذا يتم اختيار ذوي المهبة والاستعداد الطيب لتعليمهم. وكان إذا لوحظ في صوت التلميذ لين رخو شُدَّ على بطنه شال العمامة حتى يقوى صوته، وإذا كان لا يستطيع أن يفتح فاه إلا بقدر لعب خلقي فرض عليه أن يدخل في فيه قطعة خشبية عرضها ثلاث أصابع ينام بها طوال الليل. وكان أولاد زرياب العشرة، الذكور منهم والإناث، أوائل تلاميذ معهده، وكانوا كلهم حراساً لصناعة الغناء وعاملين على إشاعته في الأندلس" (الموسوعة العربية السورية، ج٣، ص ٨٢٧، باختصار، ابن المقرئ، ج٣، ص ١٢٩).

قال ابن المقرئ واصفا انتشار تعاليم زرياب "واستمر بالأندلس أن كل من افتتح الغناء يبدأ بالنشيد أول شذوه بأي نقر كان، ويأتي إثره بالبسيط، ويختتم بالحركات والأهزاج تبعاً لمراسم زرياب. وكان إذا تناول الإلقاء على تلميذ يعلمه أمره بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة..." (ابن المقرئ، ج٣، ص ١٢٨).

يعتبر بعض التربويين من المعاصرين أن زرياب صاحب إنجازات حضارية. "وكان وصول زرياب إلى الأندلس، بداية عهد جديد من التطور الاجتماعي، وخطوة حقيقية في سبيل التقدم والازدهار، لا في مجالات الطرب، والغناء، والموسيقى فحسب، بل في مجالات النمو الاجتماعي والحس الذوقي، والسمو بالأداب، ومختلف مظاهر السلوك حيث جلب زرياب إلى الأندلس، آخر ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من تطور في المشرق، مغيرا تلك الحياة العسكرية الجافة، التي صبغت بلاد الأندلس فترة طويلة حيث ظلت فيها حياة البداوة، والخشونة والجفاف، إلى نهايات القرن الثاني من الهجرة-الثامن الميلادي". "ما من أحد كتب في تاريخ الأندلس، إلا وأشار إلى الأهمية الكبرى لزرياب -ذلك الشرقي الذي استطاع وحده أن ينقل أمة بأسرها من حال البداوة إلى حال الحضارة عن طريق: تحبيب هذه الأمة في الموسيقى، وتنظيم أسلوب حياتها اليومي" (عيسى، ١٩٨٢م، ص ٩٢-٩٣).

وفي رؤية مخالفة ومعاكسة لما سبق وبنظرة ونبرة نقدية قوية قال راغب السرجاني (٢٠١١م) "لا يعلم الناس أن زرياب هذا ومن سار على طريقه كان سببا رئيسيا في سقوط بلاد الأندلس" (ج١، ص ١٢٨). وهذه وجهة نظره ولكنها رؤية تختزل سقوط أمة بسبب الموسيقى! هذه رؤية تعتقد أن الفكر الموسيقي وراء خراب الحضارة الأندلسية وكأن الموسيقى ضد الدين وكأن رأي بعض الفقهاء المحرمين للموسيقى هو حكم الدين المتفق عليه. نعم عندما اقترن الفساد بمجالس الغناء وهبطت الأذواق وانحرف المسار في الموسيقى وازداد

الانحطاط السياسي والتعليمي انحطت حينئذ الحضارة وغابت شمسها. كيف يكون زرياب وأمثاله من أسباب سقوط الأندلس في حين أن بلاد الأندلس سقطت بعد وفاة زرياب بعدة قرون! إن الحروب الطاحنة المتواصلة والأطماع وتردي وضع التعليم سببت الشقاء وهو ما يمكن أن نستشفه من كتابات ابن المقري وابن خلدون وغيرهما.

لقد اهتم الأندلسيون بالموسيقى كاهتمامهم بباقي الفنون والعلوم وبمرور سحابة الانحطاط على الأمة تراجع الغناء والموسيقى بتراجع الحياة الأدبية والسياسية والاجتماعية (الحقيوي، ٢٠١٣م، ص ٧٤). إن الطمع بالسلطة والتعصب والفساد والتفرق وضعف التعليم وانحراف الساسة وتكالب الأعداء من الأسباب الرئيسة المعينة لسقوط أي حضارة.

وهكذا واستنادا لما سبق نجد زرياب قد حقق آمال الطامحين فوضع بدقة أصول تعليمية للتربية الموسيقية وربطها بالذوق والصحة والابتكار وروائع البيان العربي وساعده في ذلك حسن اختياراته، ورفيع ذوقه، وعمق فكره المنظم، ودعم محي الموسيقى له. من صور التسطيح البحثي أن نقرن سقوط الأندلس بعنصر أو عامل واحد كما فعل البعض.

"يرجع الفضل للموسيقين العرب في نقل الأسلوب العربي في الوزن الشعري والايقاع الموسيقي عبر اقليم بروفانس بجنوب شرق فرنسا، من خلال أغاني الشعراء الجولين. وهكذا تغير أسلوب الشعر والموسيقى إلى أسلوب عصري. يقول الباحث الموسيقي الاسباني كورايا لوبيز : الموسيقى العربية هي أم الموسيقى الاسبانية ، والموسيقى الاسبانية هي أم الموسيقى العالمية". وعن التعليم في جامع قرطبة: "يوجد ستة أساتذة من علماء النحو كل يوم في قرطبة، ويوجد خمسة من علماء المنطق يقرأون على الدوام، وهناك ثلاثة من علماء الطبيعيات يقرأون كذلك كل يوم، كما يوجد أستاذ واحد يقرأ في الهندسة، وثلاثة يقرأون في الفيزياء ، وهناك اثنان من الأساتذة يقرأون في الموسيقى" (الشهاوي، ٣٥-٣٦، باختصار وتصرف).

تناول إبراهيم عبد الله (٢٠١١م) أهمية الموسيقى في التربية عند ابن رشد ويمكن تلخيص بعض الفوائد عن ابن رشد في حديثه عن الموسيقى:

١. يتحاشى الجدل الدائر في المجتمع الإسلامي حول الموسيقى والسمع تحليلا أو تحريما ويثمن رأسا أهمية الموسيقى والألحان والغناء في تربية النشء وتربية الفيلسوف.

٢. أداة يتوسل بها إلى حمل النشء على العمل بالفضائل، بل إن الموسيقى مما تحسن أخلاق الرضيع. ويقدر الابتعاد عن الموسيقى تفتقد الفضيلة.

٣. والنساء، عند ابن رشد، أكثر حذقا من الرجال في فن الموسيقى العملية، إذ

الألحان تبلغ كما لها إذا أنشأها الرجال وعملتها النساء.

وعن التربية الموسيقية أهميتها ومياديتها ومبتكراتها جدير بنا الإشارة إلى أهمية دور المرأة في تطوير هذا المجال. يحدثنا المقري عن العديد من النماذج النسائية التي برعت في الغناء واتصفت بالرزانة والعفة والأدب. قال ابن المقري "ومن النساء الداخلات إلى الأندلس من المشرق قمر جارية بن حجاج اللخمي، صاحب إشبيلية، وكانت من أهل الفصاحة والبيان والمعرفة بصوغ الألحان، وجلبت إليه من بغداد، وجمعت أدباً وظرفاً، ورواية وحفظاً، مع فهم بارع، وجمال رائع، وكانت تقول الشعر بفضل أدبها" (ج ٣، ص ١٤١).

"ولما سقطت حضارة العرب في الأندلس انتقل معظم سكانها إلى شمال أفريقيا وأقاموا بها وتأثر سكان الشمال الأفريقي بكنوز الموسيقى الأندلس وأصبحت هذه البلدان وارثة لهذه الفنون" (الظاهر، ٢٠٠٥، ص ٥١).

وذكر ابن المقري عددا من أولئك النسوة اللاتي ذاعت أخبارهن في مغارب ومشارك التاريخ الأندلسي لا سيما في قصور الأمراء. إن تدين ابن المقري وورعه لم يمنعاه من نقل حكايات أعلام الموسيقى وابداعات المغنين وروائع الملحنين من الجنسين وفي ذلك وسطية واضحة وسعة فقهية وواقعية في الفكر وأمانة في النقل.

## أبرز النتائج

١. جمع ابن المقري بين دفتي كتابه *العصن الرطيب* مجموعة كبيرة من الإشارات التربوية. جمع ابن المقري مادة علمية تصور جوانب حضارية مضيئة في الحياة التربوية والتعليمية بالأندلس وبصورة غزيرة وعبارات جزلة رغم الإسراف أحيانا في استخدام السجع.

٢. الكثير من الأمراء والوجهاء في الأندلس كانوا من محبي المعرفة وناصر العلماء مما قلص درجة التشدد الديني، وشجع طابع التنوع الثقافي.

٣. تفنن أهل اللغة العربية وأبدع معلموها في تدريس الشعر وتحديد أسلوب البحث والفهم والتحليل وحل المشكلات، فكانوا أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها والابداع في وضع الموشحات والزجل والمنظومات.

٤. للأندلسيين عناية بتربية الطفل ومنهجه الدراسي وتنوع العلوم في ضوء قدراته واحتياجاته والواقع الاجتماعي.

٥. ساهمت المرأة في الحياة الثقافية في بلاد الأندلس وقد اشتهر عدد كبير منهن وأبدعن في مجال الشعر وحب الأدب والغناء وإنشاء المجالس الأدبية من مثل ولادة بنت الخليفة المستكفي وغيرها.
٦. من دلائل التوفيق في كتابات ابن المقري أنه خصص شطرا غير قليل من كتاباته لتتبع ابداعات المرأة. المرأة يومئذ لم تدون المؤلفات والكتب فغابت عن ميدان مهم رغم حضورها في جوانب ثقافية أخرى.
٧. ساهم زرياب بفكره التربوي في تطور الموسيقى الأندلسية والارتقاء بها نحو العالمية ونقل لها ميراث المشرق وطوره تطويرا لا نظير له. وفي عهد زرياب تم تطوير التربية الموسيقية برمتها.
٨. يعتقد ابن المقري إنما أفسد العلم كثرة التواليف وذلك أن التأليف نسخ الرحلة التي هي أصل في تحصيل جميع العلوم ووسيلة عملية لتنمية ونضج شخصية المتعلم.
٩. من الأهمية بمكان التعريف بالإسهامات الحضارية للمسلمين في بلاد الأندلس عبر بيان ملامح التربية والتعليم هناك لأن "الحفريات المعرفية" تدل على أنها فترة بالغة الأهمية في الفكر التربوي الإسلامي وهي مهمة ثقافية ضرورية في السياق الحضاري المعاصر.
١٠. من الانصاف أن ندرك أن الحضارة في الأندلس متميزة ومبدعة ومن أسرار قوتها أنها استفادت من الجميع إلا أنها لم تقلد الشرق المسلم أو الغرب النصراني في كل أمر بل كانت لحنا جميلا مستقلا.
١١. بلغت الحضارة العربية الإسلامية أوج مجدها في بلاد الأندلس فقدمت طائفة من العلماء سطعوا في سماء المعرفة وأضافوا لسجل الثقافة الكثير من الابداعات.

## التوصيات

١. تلهمنا التربية الأندلسية طرق الابداع في شتى الميادين النظرية والعملية ويجب أن نتعلم منها كيف نربي الذات الإسلامية المنفتحة على العلوم والفنون والآداب، وأن نجعل كل مدينة من مدننا العربية والإسلامية منارة من منارات العلم وال عمران والإيمان والألحان.

٢. استثمار التربية الأندلسية في تدريس مقرر تطور الفكر التربوي الإسلامي عبر توسيع نطاقه، والابداع في عرضه، وتوظيفه في مجالات الحياة.
٣. تبني المنهج العلمي في التفكير العلمي، واعمال العقل، واعمار الحياة. إن التقدم العلمي والعقل التجريبي والبحث والتحليل من سمات التربية الأندلسية التي نحتاج إليها في عصر تكشف فيه الاختبار الدولية عجز طلبتنا في تحصيل العلوم والرياضيات بل وحتى القراءة.
٤. العناية بالموسيقى وتنوع مسارات الفنون لتهديب الفكر واعلاء شأن الحضارة وكشف الإبداعات الاسلامية النافعة بعيدا عن جمود التشدد الديني.
٥. تبصير المعلمين عبر دورات متخصصة بإبداعات المسلمين في شتى العلوم وسبل تطويرها وغرسها في جيل الشباب.

### أبرز المراجع العربية

- ابن المقري، أحمد (١٤٣٢هـ-٢٠١١م). *نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب*. ط ٥، نسخة ورقية بتحقيق إحسان عباس، دار صادر- بيروت - لبنان. كما تم الاستعانة بنسخة (المكتبة الشاملة: نسخة الكترونية، مكة المكرمة، ٢٠١٢م، الاصدار: ٣,٤٨).
- ابن عبدون التجيبي، محمد بن أحمد (١٩٥٥م). *رسائل ابن عبدون في القضاء والحسبة. ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب اعتنى بتحقيقه ودراسته الفنية واللغوية والتاريخية والاجتماعية. الأستاذ إ. ليفي بروفنسال مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة.*
- أبو شعيرة، خالد محمد (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م). *الأثر الثقافي للنظام التعليمي القرطبي على العام الإسلامي وأوروبا*. ط ١، الأردن: مكتبة المجتمع العربي للنشر.
- بالنثيا، أنخل جنثالث (٢٠٠٨م). *تاريخ الفكر الأندلسي*. ط ٢، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. نقله عن الإسبانية د. حسين مؤنس.



بروفنسال، ليفي (١٤٣١هـ-٢٠١٠م). الحضارة العربية في إسبانيا. ترجمة: طاهر أحمد مكّي. ط١، القاهرة: دار العالم العربي.

البشري، سعد عبدالله (١٤١٧هـ-١٩٩٧م). الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (٣١٦هـ-٤٢٢هـ-٩٢٨م-١٠٣٠م). المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى.

بيريز، جوزيف (٢٠١٢م). التاريخ الوجيز لمحاكم التفتيش بإسبانيا. ترجمة مصطفى أمادي. ط١، أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة: كلمة. موقع كتاب (http://wp.me/p21SiY-1c2).  
الجندي، نزيه أحمد- حميدان، زهير (٢٠١٢م). التربية العربية الإسلامية. الموسوعة العربية. سوريا. موقع الموسوعة.

الحسين، قصي (٢٠٠٥م). موسوعة الحضارة العربية: العصر الأندلسي. بيروت: دار البحار.

الحقيوي، سليمان (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م). الغناء العربي: بحث في التراث والامتدادات. مجلة «تراث»، مركز زايد للدراسات والبحوث. نادي تراث الإمارات في أبوظبي. العدد: ١٦٧ سبتمبر.

خلف، فاضل (٢٠١٢م). دراسات أندلسية. ط١، الكويت: مكتبة ومركز: فهد الدبوس للتراث الأدبي.

خماش، نجدة (٢٠١٣م). زرياب (علي بن نافع). في الموسوعة العربية (السورية). المجلد العاشر: الحضارة العربية، زرياب (علي بن نافع). من شبكة الانترنت.

دنيا، سليمان (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م). مقدمة كتاب: قانون التّأويل، تأليف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، دراسة وتحقيق: محمد السليماني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدّة، مؤسّسة علوم القرآن، بيروت.

الدوسري، أحمد ثاني (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م). الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر دولة بني الأحمر. تقديم: عبدالهادي التازي. أبوظبي: المجمع الثقافي.

ريبير، خوليان (١٩٩٤م). التربية الإسلامية في الأندلس: أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية. ترجمة الطاهر أحمد مكّي. ط٢، دار المعارف: القاهرة.

السرجاني، راغب (١٤٣٢هـ-٢٠١١م). قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط. ط ١، القاهرة: مؤسسة اقرأ.

الشهاوي، صلاح عبدالستار (٢٠١٣م). الموسيقى في التراث العربي الإسلامي. مجلة فنون، العدد ١٣٩، إبريل السنة الثالثة عشر. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الطاهر، عبدالرزاق عمر (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م). الموسيقى العربية وتأثيرها بالاطار الحضاري والبيئة المحلية. في المجلة العربية للثقافة. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. المجلد ١، العدد ١.

عبد الله، إبراهيم (٢٠١١م). أهمية الموسيقى في التربية عند ابن رشد. موقع ملتقى الأدباء المبدعين العرب: <http://www.almolltaqa.com/vb/showthread.php?t=35627>

عتيق، عبدالعزيز (بدون تاريخ). الأدب العربي في الأندلس. بيروت: دار النهضة العربية.

عنان، محمد عبد الله (١٩٩٧م). دولة الإسلام في الأندلس. مكتبة الخانجي، القاهرة.

عويس، عبدالحليم (١٤٣١هـ-٢٠١٠م). ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري. ط ١، القاهرة: الصحوة.

عيسى، محمد عبدالحמיד (١٩٨٢م). تاريخ التعليم في الأندلس. ط ١، القاهرة: دار الفكر العربي.

الفزاري، علي بن عبدالرحمن بن هذيل (٢٠٠٤م). فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار. تحقيق وتعليق: عبدالله حمادي. الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

الكندري، لطيفة حسين (١٤٣٤-٢٠١٣م). رحلة مع ألفاظ تراثية تعليمية: الحفريات اللغوية تثبت براعة التعليم في صدر الإسلام. مجلة «تراث»، الصادرة عن مركز زايد للدراسات والبحوث. نادي تراث الإمارات في أبوظبي. العدد: ١٦٧ سبتمبر.

الكندري، لطيفة حسين (٢٠١١م). رحلتي إلى إسبانيا أطياف تربية وأنغام أندلسية. مجلة الرابطة: رابطة أعضاء هيئات التدريس في الكليات التطبيقية. العدد ٤، مارس. الكويت.

لوبون، غوستاف (٢٠١٢م). حضارة العرب. ترجمة عادل زعيتر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المقدسي، جورج (١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م). نشأة الكليات: معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب.  
ترجمة محمود سيد محمد. مراجعة وتعليق محمد بن علي حبشي وعبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان. جدة: مركز  
النشر العلمي - جامعة الملك عبدالعزيز.

### المراجع الأجنبية

Andalusia.(2010). Encyclopædia Britannica. *Encyclopaedia Britannica Ultimate Reference Suite*. Chicago.

Cunningham, L.S and Reich, J. J (2006). *Culture and Values: A Survey of the Humanities*. 6<sup>th</sup> ed. Australia: Thomson.

James, D (1974). *Islamic Art: An Introduction*. London: Hamlyn Publishing Group.

Makdisi, G. (1981). *The rise of colleges: Institutions of learning in Islam and the West*. Edinburgh, Scotland: Edinburgh University.

Muessig, H. &Allen ,D. (1962). Islamic contribution to American education. In R.E. Gross (Ed.). *Heritage of American education*. Boston, MA: Allyn& Bacon

Spain. (2010). Encyclopædia Britannica. *Encyclopaedia Britannica Ultimate Reference Suite*. Chicago.